مجلة كليّة
الدعوة الإسلامية
عشر
مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكمة تصدر سنويًا
1424 من ميلاد الرسول ﷺ 1995 أفرنجي

إختتام النّبوّة

ظاهرة الشّعراء الكُتّاب في ليبيا

مالم يُذع من المصطلحات النحويّة

مجمل لتاريخ الكنيسة

مقتطفات من كتاب

هادي العقول إلى بلوغ المأمول

للشيخ الفقيه المتصوف أحمد بن محمد بن حمادي رحمه الله (1864 - 1947)

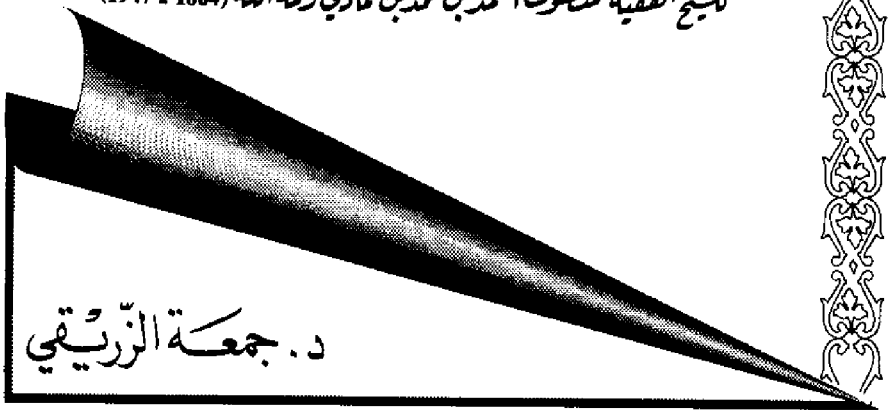

د. جمعة الزريقي

ترك لنا علماؤنا الأجلاء ثروة علمية تتمثل في مجموعة من المؤلفات ظهر بعضها من خلال حركة إحياء التراث، وما زال أغلبها مخطوطاً يحتاج إلى من يزيح عنه ستار النسيان والإهمال، كما أن الغموض ما زال يكتنف حياة هؤلاء العلماء، فبعضهم ليس له ترجمة على الإطلاق، ومن كانت له ترجمة فهي مختصرة لا تشمل كل حياته وآثاره العلمية، ودوره في الحياة الثقافية اللهم إلا فيمن حظي بدراسة خاصة من بعض الباحثين، ولا سبيل إلى معرفة تاريخ ليبيا الثقافي ودورها الحضاري في النهضة العلمية إلا بإحياء تراث الآباء والأجداد في كل المجالات، ولن يتأتى ذلك إلا بتحقيق آثارهم وكشف الغطاء عنها بتوجيه الباحثين وطلبة الدراسات العليا في الجامعات والمعاهد إلى دراسة حياتهم ومؤلفاتهم والكشف عن دورهم العلمي والتربوي والإصلاحي في جميع المجالات التي عرفوا من خلالها.

وفي هذا المجال نميط اللثام عن شخصية علمية من فقهاء بلادنا الحبيبة ولد وعاش وتربى في هذه البلاد، ولم تكن له رحلة علمية سوى رحلاته إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج والزيارة، فكل علمه وثقافته مأخوذ على شيوخ بلده وعلمائها، ذلكم هو الشيخ الفقيه أحمد بن محمد بن حسن بن بلعيد بن حمادي رحمه الله.

ولد هذا الفقيه ـ رحمه الله ـ في الساحل بمنطقة الهنشير من ضواحي مدينة طرابلس الغرب يوم الأحد أول محرم سنة 1281 هـ الموافق 5/ 6/ 1864 فرنجي وهو ينتمي إلى أسرة معروفة بالصلاح والقيام بالوظائف الدينية، فجده الشيخ حسن بن بلعيد بن حمادى كان إماماً لجامع بن حمادى في قبيلة البراهمة بزليطن[1] وهو الذي أرسل ابنه ـ والد المؤلف ـ الشيخ محمد بن حمادي إلى مدرسة جامع مراد آغا بتاجوراء لتلقي العلم، فمكث فيها فترة ثم عين إماماً لجامع الشط بالهنشير التي قضى فيها بقية حياته يؤم بالناس الصلاة ويعطي الدروس إلى أن توفاه الله في سنة 1315 هـ 1897 إفرنجي عن عمر يناهز السادسة والتسعين سنة، وبذلك يكون الشيخ أحمد بن حمادي قد حظي بتربية والده منذ نشأته الأولى.

درس الشيخ أحمد بن حمادي على عدة شيوخ كان من أجلّهم وأقربهم إلى نفسه الشيخ محمد الأمين بن إبراهيم بن عبد النور، ومن شدة تأثره بهذا الشيخ وضع كتاباً في مناقبه تحت عنوان «منح رب العالمين في مناقب شيخنا الأمين» يتضمن حياته وسيرته وعلمه وشيوخه وطريقته الصوفية وسنده في تلك الطريقة، كما ترجم لبعض أفراد أسرة شيخه وذكر بعض تلاميذه، والمراثي التي قالها فيه بعد وفاته[2] كما درس على الشيخ محمد عبد المولى الهنشيري

---

(1) تم تعيين الشيخ حسن بن بلعيد بن حمادي جد المؤلف إماماً لجامع أولاد بن حمادي البراهمة بقبيلة البراهمة بزليطن بموجب الأمر الصادر عن يوسف باشا القره مانللي بتاريخ 17 ذي القعدة 1221 هـ.

(2) الكتاب يضم 88 صفحة من الحجم المتوسط، ما زال مخطوطاً لدى أسرة المؤلف ولهذا الكتاب نظير ألفه الشاعر محمد بن علي الشريف زغوان بعنوان «ألفية المواهب السّنيّة في مناقب الحضرة الأمينية» مكون من ألف بيت من الشعر على بحر الرجز يضم مقدمة من عدة مباحث وعدة أبواب، تضم المقدمة حقيقة الكراسة والدليل على وجود الولاية وتقسيماتها والصحبة وما =

في الزاوية العروسية الكائنة بقرب جامع بيت المال بمحلة الهنشير، وترجم له أيضاً في نفس الكتاب ذاكراً نبذة عن حياته وسيرته وزهده وعبادته، والكتب التي ألفها، والكتب التي استنسخها بنفسه، وأنه كان يُعلّم القرآن الكريم لأبناء المسلمين بجامع بيت المال، وله الباع الطويل في الحفظ والرسم والوقف وهي من علوم القرآن، وله اليد الطولى في الفقه والتوحيد والتصوف وعلم الفرائض. ولا يستبعد أن يكون الشيخ أحمد بن حمادى قد أخذ عن علماء عصره في تلك الفترة، منهم الشيخ محمد كامل بن مصطفى وتلميذه الشيخ عبد الرحمن البوصيري والشيخ محمد الضاوي، والشيخ محمد العكاري، فلو ظهرت مؤلفات الشيخ بن حمادي كلها لعرفنا من خلالها الشيوخ الذين تلقى عنهم.

كان الشيخ أحمد بن حمادي رحمه الله ذا هيبة ووقار، له أخلاق كريمة، لا يفتر عن ذكر الله آناء الليل وأطراف النهار، كثير المطالعة للكتب ويكثر من التهاميش عليها له حظ وافر في النظم والنثر والسجع، وكان يعمل في البيع والشراء على قدر الحاجة في دكان صغير بمنطقة الهنشير، ولم يسع إلى طلب الدنيا حيث كان شعاره (خذ القناعة من دنياك وارض بها واجعل نصيبك فيها راحة البدن)[3] ولا يدل هذا على الكسل والخمول أو الدعوة إليه، بل ذلك يتفق مع طريقة الشيخ الصوفية التي تنبذ الدنيا وتتجه إلى الآخرة، فهو يدعو إلى راحة البدن من عناء العمل لأجل الكسب المادي لكي يخصص وقته لطلب العلم والعبادة لأنهما وسيلة النجاة في الدنيا والآخرة وبهما يتقرب الإنسان إلى ربه، وهذا أساس التصوف، ولهذا لم تكن حرفته إلا من أجل العيش بتجارة بسيطة وزراعة الأرض، ولم يمارس أية وظيفة أخرى، واقتصر على إعطاء الدروس في المساجد، وفي بيته لخواص الطلبة على عادة علماء البلاد، والإفتاء للناس عندما يتوجهون إليه بالسؤال.

= يتعلق بها ومحبة أهل الله والفرق بين الجذب والسلوك وزيارة الأولياء والطرق الموصلة إلى الله تعالى، أما الأبواب الثمانية فهي في ترجمة الشيخ محمد الأمين بن إبراهيم من عبد النور، وبالرغم من وجود كتابين عن هذا الشيخ غير أن المصادر لم تذكره.

(3) من رواية ابنه الشيخ محمد شكري بن حمادي مقابلة شخصية يوم 15/ 1/ 1994.

كان الشيخ أحمد بن حمادى رحمه الله من أتباع الطريقة القادرية التي تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت 561 هـ ـ 1161 فرنجي) وهي من الطرق الصوفية المنتشرة في العالم الإسلامي، ومنها زوايا كثيرة منتشرة في جميع أنحاء ليبيا، برز فيها عدد من الفقهاء اشتهر منهم على سبيل المثال: الشيخ محمد بن أحمد العكاري (1240 ـ 1313 هـ، 1824 ـ 1895 فرنجي) والشيخ محمد الضاوي (1267 ـ 1330 هـ) والشيخ محمد بن علي الشريف زغوان (1315 ـ 1392 هـ) والشيخ علي أمين سيالة (ت 1280 هـ 1957 فرنجي) رحمهم الله جميعاً، وهذه الزوايا التابعة للطريقة القادرية التي نشأت في بلادنا بحاجة إلى دراسة شاملة لمعرفة دورها الديني والثقافي من خلال الرجال الذين تميزوا فيها بدورهم الإصلاحي وبما كتبوا من مؤلفات.

لم يكن الشيخ أحمد بن حمادي مقتصراً على التصوف بل عكف على دراسة العلوم السائدة في ليبيا أثناء عصره، وأهمها علم العقيدة والعبارات والفرائض والحساب وعلم الفلك وعلوم القراءات إلى جانب اللغة العربية وآدابها، يدلنا على ذلك ما ألفه من كتب ما زالت مخطوطة تحتفظ بها أسرته[4].

---

(4) للمؤلف مجموعة من الكتب ما زالت مخطوطة لدى أسرته وهي: ـ

1 ـ كتاب صلاتِ الرب في الصلاة والسلام على أشرف العجم والعرب.

2 ـ كتاب أسمي الوسائل في الصلاة والسلام على أشرف الوسائل.

3 ـ كتاب المدد الفائض في خلاصة على الفرائض.

4 ـ كتاب منح رب العالمين في مناقب شيخنا الأمين.

5 ـ رسالة في بيان بعض أحكام البيوع وما شابهها.

6 ـ كتاب فوز المؤمنين في الصلاة والسلام على الرسول رحمة للعالمين.

7 ـ كتاب وسائل القبول في الصلاة والسلام على سيدنا الرسول.

8 ـ كتاب منية العابدين في تلاوة كلام رب العالمين.

9 ـ كتاب في مناسك الحج وما يناسبه من الدعاء نظماً ونثراً.

10 ـ كتاب منة الخالق على المخلوق في إسقاط ما في ذمته من سائر الحقوق.

11 ـ تذكرة الولدان في حذف الإشارة لكلمات القرآن. وقد نشر مؤخراً من قبل مكتبة النجاح بطرابلس بدون تحقيق أو شرح.

12 ـ كتاب حادي العقول إلى بلوغ المأمول.

13 ـ كتاب ورد الحبيب في الصلاة والسلام على المنبإ بالغيب.

بعد هذه الحياة الحافلة بالعمل والعطاء العلمي. لبّى شيخنا نداء ربه وانتقل إلى رحمة الله تعالى في الركعة الأخيرة من صلاة العصر في اليوم الخامس من شهر ربيع الثاني سنة 1367 هـ الموافق 14/ 11/ 1947 فرنجي دفن بالهنشير، وقد كتب على ضريحه هذه الأبيات: ـ

هـذا الـضـريـح لأحـمـد مـداح خـيـر الـعـالـمـيـن
لـبّـى الـمـهـيـمـن سـاجـداً لـمـا رأى عـيـن الـيـقـيـن
والـحـظ أقـبـل وافـراً ولـنـعـم دار الـمـتـقـيـن

الكتـاب

يتكون الكتاب من 203 صفحات من الحجم المتوسط مقاس 14/20 سم وكل صفحة بها ثلاثة عشر سطراً داخل خطين يحيطان بالكتابة في شكل مستطيل، مكتوب بخط مغربي واضح مما جرى به العمل في ليبيا قبل افتتاح المدارس الحديثة، وهو مكتوب بخط الشيخ محمد شكري بن حمادي ابن المؤلف وقد راجعه المؤلف بنفسه، ووضع عليه عدة تهاميش وتعليقات، تدل على توضيحات وتغيير في بعض الكلمات، أو استبدال بعض القوافي والشطرات أحياناً، أو إضافة أبيات أخرى في الهامش، أو شرح لبعض الكلمات، أو إحالة إلى المصادر التي أخذ منها، أو ذكر بعض الأحاديث النبوية الشريفة، والكتاب نسخة واحدة أصلية لا يوجد غيرها.

يضم الكتاب مجموعة من المنظومات والقصائد ومقطعات أغلبها من الرجز وليس به من النثر سوى صفحات قليلة، وهي مقدمة الكتاب وعقيدة في التوحيد وهو غير مبوب أو مفهرس، بدأه المؤلف بذكر اسم الكتاب ومؤلفه، ثم كلمة اعتذار جرياً على تواضع العلماء من السلف الصالح، فمقدمة الكتاب التي تتكون من ست صفحات نثراً، ثم يبدأ النظم بمنظومة التوحيد الكبرى المسماة بالفوائد السنية، ثم منظومة التوحيد الصغرى، يليها عقيدة أخرى منثورة مسجعة من خمس صفحات، ثم كلمات وجيزة منثورة تحتوي على عقائد التوحيد بكيفية اندراج الصفات الإلهية والنبوية في معنى شهادة الإسلام.

بعد الانتهاء من العقيدة أو ما يتعلق بالتوحيد، انتقل المؤلف إلى مدح سيدنا محمد ﷺ، فبدأ بقصيدة همزية تتكون من واحد وتسعين بيتاً من الشعر، تلاها بقصيدة بائية في مدح سيد الوجود ﷺ، ثم قصيدة دالية وأخرى هائية في نفس الغرض، ثم قصيدة في يوم مولده ﷺ، يليها قصيدة الاستغفار من الذنوب، انتقل بعدها المؤلف إلى قصائد مشهورة لبعض العلماء في مدح الرسول عليه السلام، فقام بتخميسها أو تشطيرها، منها تخميس القصيدة المضرية في مدح الرسول وآل بيته عليهم السلام للإمام البوصيري رحمه الله، ثم تخميس القصيدة المناوية للشيخ المناوي صاحب المولد النبوي، ثم تخميس وتشطير القصيدة العينية للإمام السهيلي رحمه الله وهي استغاثة وتضرع إلى الله سبحانه وتعالى.

ويمضي الكتاب على هذا النسق في المدائح والاستغاثات يتخللها بعض الموشحات والمنظومات التي تدور في نطاق التوحيد ومدح الرسول ﷺ وآل بيته الكرام ومدح مكة والمدينة، بعدها ينتقل إلى الحِكم والمواعظ والإشارة بالطريقة القادرية وأبيات في التوحيد، وتشطير لبعض الأبيات التي تدور في هذا الغرض أو تذييلها أحياناً، غير أن الكتاب لا يلتزم نهجاً واحداً بعد ذلك (من صفحة 115) حيث ذكر المؤلف مقطعات شعرية من إنشائه أو لبعض الفقهاء الآخرين ولكنه قام بتشطيرها أو تذييلها في مواضع مختلفة، منها الفقه خصوصاً في أصول التقاضي والمحاكمات، ومنها ما يتعلق بالمعاملات من بيوع وإجارة ومنها ما يتعلق بأصول الفقه كتقليد المذاهب الإسلامية أو الأخذ بالرخص والانتقال من مذهب لآخر، وبعض الأبيات نظم فيها بعض أحكام العبادات كالطهارة والصلاة والزكاة والحج، وأبيات أخرى تخص بعض الطرائف والآداب كالألغاز في أسماء الرسل والأماكن، وأبيات تشبه الغزل والتشبيب ولكنها في منظور صوفي، كل ذلك بدون ترتيب حيث تجد في الصفحة الواحدة عدة أبيات كل منها يتعلق بموضوع معين.

والكتاب على هذا النحو مجموع جيد في قيمته العلمية، فهو يدل على مكانة الشيخ العلمية وقدرته على النظم الذي شمل كل المجالات، غير أنه يحتاج إلى إعادة ترتيب للمواضيع التي يضمها الكتاب، فيقسم إلى أبواب

بحسب القضايا التي تطرق إليها، ومن ثم يعاد توزيع القصائد والمقطعات ضمن الباب التي تندرج تحته، وهذه الطريقة التي سنسلكها بإذن الله في تحقيق الكتاب.

وهذا الكتاب حديقة غناء مليئة بالأزهار والثمار مختلفة الألوان والأشكال، تتلألأ أنوارها من فيض القدير في فضاء الصوفية التي تسعى للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وتدور كلها في الإخلاص للبارىء عز وجل والشكر له على نعمائه ومدح سيد المرسلين عليه الصلاة السلام، فيها ما يحتاجه المسلم من عقيدة الإيمان وحب الرسول ﷺ والحِكم والمواعظ والأدعية والاستغفار وبعض أحكام العبادات والمعاملات، فهيا بنا عزيزي القارىء نقتطف شيئاً بسيطاً من هذه الأنوار.

نقطف من باب العقيدة منظومة التوحيد الصغرى التي جاء فيها:

الحمد لله المهيمن السلامْ ... على نبينا الصلاة والسلامْ
وآله وصحبه والتابعين ... لا سيما أهل العباد الفائزين[5]
لله واجبٌ وجودٌ وقِدمْ ... بقاء دائمٌ له بلا عَدَمْ
مخالف لما يناله الفَنَا ... له على الدوام مطلق الغِنا
وقائم بنفسه وواحدُ ... ذاتاً وأفعالاً صفاتِ أحَدُ
علم حياة قدرةٌ إراده ... سمعٌ كلامٌ بصرٌ يا ساده
فوصفه بتلك واجب كذا ... بكل ما فيه كمال فخُذَا
لو لم تجب له تعالى لزِمَا ... الضدُّ والعجز لربنا انتما
وجاز فعل مُمْكنٍ وتركُهُ ... في العدم دليل هذا فلْكُهُ

(5) نسبة إلى الشيخ المناوي رحمه الله، والقصيدة ضمن كتاب مولد النبي ﷺ المسمى «مولد المناوي» ص 9 ـ 10 ـ 11. طبع مصر محمد علي صبيح وأولاده بدون تاريخ ولم أهتد إلى ترجمته ولعله عبد الرحمن بن تاج الدين بن علي المناوي القاهري شاعر له ثلاث قصائد ضمنها التغزل في النبي ﷺ والتشوق إلى أرض الحجاز، ولد سنة 952 هـ الموافق 1545 م ولا يعرف تاريخ وفاته. معجم المؤلفين ص 131/ 5.

للرسل واجب تبليغ عِصْمَهْ صدق والإرسال بمحض الرحمة
ويستحيل ضِدّهَا عليهمُ وكل نقص لا يجوز عنهُمُ
وجائز عليهمُ كل عَرَضْ لا نقص فيه كخفيف من مرضْ
ويحوي ذلك شهادة الإسلامِ حافظ عليها كي تفوز بالإنعام
ونسأل الله القبول والسلامْ على شفيعنا الصلاة والسلامْ

ومن القصيدة الهمزية الأولى وعدد أبياتها واحد وتسعون بيتاً نختار هذه الأبيات: يقول في أولها:

صل يا سيدي وسلم على مَن جاء للخلق رحمةٌ وشفاءْ
سيد المرسلين أنت الشفاء يا صفيّاً جدوده الأنبياءْ
جئت للناس رحمة وبشيراً وشفاء لهم فنعم العطاءْ
أنت سر الإلٰه من نورك الخلق ومنك استمدت الأصفياء
نورك الأصل في الوجود جميعاً يا نبيّاً من نوره الصلحاءْ
سرك الساري في الخلائق طراً بل بنورك المرسلين استضاؤوا

ومنها قوله: ـ

أي شخص يوفّى بالمدح فيك والإلٰه أثنى عليك نعم الثناءْ
غير أني بذكرك اللّهَ أرجو أن يثيبني بالفضل نعم الجزاءْ
كيف للمادحين يُنسب مدحاً أصله منك ومن بارينا إملاء

وختمها بقوله: ـ

صل يا ذا الجلال وسلم على مَن حاز منك العُلا ونال العلاءْ
ما أتى المؤمنين منك عطاءٌ وتغنت بمدحك الشعراء
فلك الحمد خالقي كل حين ولك الشكر دائماً والثناءْ

ومن قصيدته في ذكرى المولد النبوي الشريف نختار هذه الأبيات: ـ

حمداً لمن قد عمنا الإنعام من فضله وبه زكى الإسلام

يـوم بـه ولـد الـنـبـي مـحـمـدٌ عـيـد سـعـيـد نـوره بـسّـام
أنـعـم بـه يـومـاً شـريـفـاً فـجـره نـطـقـت بـكـامـل بـرّه الأقـلام
أكـرم بـه عـيـداً تـعـاظـم سِـرّه فـتـنـورت مـن نـوره الأعـوام
سـحـر بـه جـاء الـشّـفَـا فـوزاً لـمـن قـد عـمـه مـن فـضـلـه الإكـرام
فـجـرٌ بـه طـلـع الـهـدى أكـرم بـه نـوراً بـدا والـحـادثـات ظـلام

ومن قصيدته في مدح مكة والمدينة وهي من سبعة وستين بيتاً وله أكثر من قصيدة في مدح الأماكن المقدسة، نختار منها: ـ

سر لـلـمـديـنـة حـيـث صـل الأرحـم سـر الـوجـود هـو الـشـفـيـع الأعـظـم
بـلـد الـمـشـفّـع فـي الـخـلائـق كـلـهـا بـلـد الـحـبـيـب هـو الـرؤوف الأرحـم
مـأوى الـرسـالـة والـهـدى عـظـمـت بـمـن لـولاه مـا كـسـب الـمـكـارم مـسـلـم

إلى أن يقول:

لا تـنـس مـسـقـط رأسـه أم الـقـرى هِـي مـكـة مـنـهـا الـسـنـا يـتـبـسـم
مـنـهـا أصـول الـمـصـطـفـى عـظـمـت بـمـن شـرفـت بـه الـرسـل الـكـرام وآدم
مـهـد الـنـبـي والأنـبـيـا ومـقـرهـم حـرم الإلٰـه بـه الـمـصـيـد مـحـرّمُ

تخميس القصيدة المضرية

القصيدة في الأصل من نظم الإمام البوصيري ـ رحمه الله ـ صاحب قصيدة البردة والهمزية وغيرها، ومن تخميس الشيخ أحمد بن حمادى للقصيدة المضرية نختار هذه الأبيات: ـ

الـحـمـد لله ذي الـتـكـريـم لـلـبـشـر الـحـمـد لله حـمـداً غـيـر مـنـحـصـر
أقـول بـالـكـتـب والأسـمـاء والـسـوَر (يا رب صل على المختار من مضر)
(والأنبياء وجميع الرسل ما ذكروا)
وآل كـل نـبـيٍّ وأهـل مـلـتِـهِ بِـعـدٌ مـن قـام لله بـطـاعـتِـهِ

وعد أسرار مكتوب وحكمته (وصل رب على الهادي وشيعته)

(وصحبه مَن لطيّ الدين قد نشروا)

وأيدو الدين بالبرهان واعتمدوا بشراهم فازوا بالرضوان إذ سعدوا

وقاموا في حومة الهيجا وما رقدوا (وجاهدوا معه في الله واجتهدوا)

(وهاجروا وله آووا وقد نصروا)

تخميس القصيدة المناوية[6]

هي ضمن مجموع ألفه الشيخ المناوي يعرف بمولد المناوي، وهو خاص بمولد النبي ﷺ، ومن تخميس الشيخ أحمد بن حمادي للقصيدة المناوية نختار هذه الأبيات: ـ

الحمد لله على إفضالِهِ حمداً كثيراً لائقاً بجلالِهِ

ما قال شخص عاشق لكماله (يا رب صلي على النبي وآله)

(مَن نادت الدنيا بنور جمالِهِ)

والأنبياء والمرسلين جميعهم من عمنا الفوز العظيم بفوزهم

وسما بهم أهل الفخار لفخرهم (وعلى صحابته الكرام بجمعهم)

(والتابعين العاملين بقولِهِ)

ومن قصيدته الهمزية الثانية في مدح الرسول عليه السلام نختار هذه الأبيات:

صل يا خالقي وسلم على مَن جاء للخلق رحمة وشفاءُ

سيد الرسل أنت معدن جود أنت سر الإيجاد من نورك الأنبياء

سيد الإنس أنت عز الوفود أنت نور الكرام من نسلك الصلحاءُ

ثم يختمها بالأبيات التالية:

---

(6) يقصد بأهل العباء سيدنا علي كرم الله وجهه وابنيه الحسن والحسين والسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنهم، انظر ديوان المدائح النبوية للشيخ يوسف النبهاني ص 81، طبع بيروت 1329 هـ.

يا نبيّاً دعاني للمدح شوقي فأقبل البعض ما للكل انتهاءُ
غير أني أحب أن أماري قوماً مدحوك بما أتى به البلغاءُ
فارضه يا سني الخصال واسمح بالقبول فإن لي إليك التجاءُ

استعمل الناظم كلمة أماري في البيت الثاني، وجاء في لسان العرب المحيط: الامتراء في الشيء الشك فيه، والمراء: المماراة والجدل، وماريت الرجل ومارتته إذا خالفته وتلويت عليه، 5/475 وتدل الكلمة في اللهجة الدارية الليبية على المحاكاة والتقليد، وهذا ما يقصده المؤلف حيث ورد في البيت الذي قبله: دعاني للمدح شوقي، وفيه تورية فالمعنى القريب يدل على شوقه وحبه للرسول عليه السلام والمعنى البعيد محاكاته للشاعر أحمد شوقي في قصيدته التي مطلعها:

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

فسار على نهجها غير أن الفرق واضح بين القصيدتين من حيث السبك والميزان الشعري.

ومن باب الدعاء والاستغفار والتوسل إلى الله سبحانه وتعالى نقتطف هذه الأبيات من قصيدته الاستغفارية التي تبدأ بعد الأبيات الثلاثة الأولى بكلمة أستغفر الله وهي من خمسة وعشرين بيتاً:

الحمد لله ذي الإكرام والكرم الحمد لله ذي الإحسان والنِعمِ
ثم الصلاة على المختار منقذنا يوم الزحام من الأهوال والنِقمِ
يا رب صل على سادتنا الرسل والآل والصحب أهل الفضل والحِكمِ
أستغفر الله ذا الإنعام خالقنا الواحد المنعم الموصوف بالقِدمِ
أستغفر الله جل الماجد الصمد أستغفر الله جلّ خالقي الحَكَمِ
أستغفر الله ربي لا شريك له جل المهيمن ذو الخيرات والكَرمِ

ومن دعاء له مكون من تسعة عشر بيتاً: ـ

أقول يا رب يا الله يا أزلي أزكى صلاة على المختار في الرسلِ

والآل والصحب والأزواج والولد لا سيما شيخنا المعروف بالجيلي
مولاي بالمصطفى البشير شافعنا أجب دعائي سريعاً رب يا أملي
وأمنن عليَّ بما أرجوه منك بك وإن عصيت فقد تبت من الزللِ

ومن توسل يضم اثنين وعشرين بيتاً، نختار هذه الأبيات:

أيا غوث الأنام بكل برٍّ ويا ذخر العصاة بيوم حشرِ
قصدت حماك أرجو منك سراً وفوزاً دائماً بكمال خير
فأنت رسول مولانا العظيم لك الجاه الجسيم لكشف ضري
فسل لي منه توفيقاً ولطفاً يدوم وتوبة مع حبر كسري

ومن استغاثة الله أكبر نختار هذه الأبيات:

الله أكبر إن نفسي ظالمة وأنها بأمور الشر عالمة
الله أعظم إن نفسي جاهلة وأنها لعظيم الذنب فاعلة
الله أعلم إن نفسي خاسرة وأنها لجميع السوء ناشرة
الله أعدل إن نفسي طاغية وأنها لجميع الخير نافية

ومن قصيدة استغفار نختار هذه الأبيات:

يا نفسي ما لك لا تتوب سرعة حتى تنالي من الكريم هداية
يا نفسي ما لك والتباعد والشقا حتى غنمتي من المعاصي كفاية
يا نفسي ما لك والذنوب بضاعة حتى حُجبت عن الوصول نهاية
يا نفسي توبي من فعالكِ كلِّها حتى تنالي من الرحيم كرامة

ومن باب الحكم والمواعظ والنصائح نقتطف بعض الأبيات من القصائد والمواعظ والحكم، ومن قصيدة طويلة في النصائح والمواعظ نختار بعض الأبيات في أصول التربية التي درج عليها السلف الصالح في هذه البلاد: ـ

ويستحب لولي الصغير تكليفه بالفعل كالكبير
ليألف الصلاة في الجماعة وفعل الخير مع كمال الطاعة
وخوفاً أن يميل إلى الفجور وشرب الخمر والزنى والزور

فكل ما يعتاده حال الصغرْ ... لا يستطيع تركه إذا كبرْ
والشخص من خليله يكتسبُ ... الخير والشر انتقي من تصحبُ
لا تركن يا أخي للفساقِ ... أهل الهوى واللهو والنفاق
والغش والفساد والبهتان ... والفحش شرب الخمر والدخان
والبغض والكذب والنميمهْ ... تبذير مال غيبة ذميمهْ
والحقد والحسد والعقوق ... وسوء الظن معْ أكل الحقوق
والبخل المكر قطيعة الرحم ... والغصب كاللؤم والشؤم فاستقم

ومنها قوله: ـ

يا عبد بالكبر فلا تغتر ... فأنت جسم يعتريه الضرّ
كن داعياً منتفعاً بالموعظهْ ... متى سمعتها والقلب أيقظهْ
ذو العلم والتقى له الأمان ... والفوز في الفردوس والرضوان
ذو الصدق والحيا من الله العظيم ... ينظر وجهه في جنة النعيم

وللمؤلف ثلاث مجموعات من الحكم اثنتان منها مرتبتان على حروف المعجم من الألف إلى الياء، نختار منها بعض الحِكم في مختلف المواضيع.

أ ـ في طلب العلم:

جل الذي مَنّ علينا بالقلم ... والعقل واللسان والشرع الأتم
العلم نور نارت الدنيا به ... وفازت الأخيار منه انتبه
بالعلم كن مشتغلاً وبالعمل ... من لم يوف بهما فكالجمل
واقصد به وجه العظيم الصمد ... تسلم وتغنم بالنعيم السرمدِ
زلة العالم يُضرب بها المثل ... وزلة الجاهل يُعظِمُها الجهل
طلب العلم للهداية ... لا لمجرد الرواية

ب ـ في الزهد:

وازهد أخي في الدنيا بالقلب تُحب ... وكل ما إلى الأنام يُنتسب

وأعظم الأسباب في كسب الحلال التقوى مع كَدِّ اليمين والشمال
كن فاعلاً للخير أو كن ناوياً ودع مواطن الأشرار قاليا
والقصد مطلوب في الفقر والفنا ودم على الحَيَا تفوز بالمنى
واترك أخي الحرام إن رمت الوصول وأهله وما يؤدي للفضول
واسلك طريق الصالحين الساده كي تحظى بالحسنى مع الزياده

جـ ـ طاعة الوالدين وصلة الرحم والتأدب:

وأحسن كما أُمرت للآباء وغض الطرف عن ذوي الإخاء
وافش السلام وصل الأرحاما وارع الجوار وارحم الأيتامي
شيع أخيك عند قيامه وأنصت له عند كلامه
هجر أهل الضلال واجبْ لسريان دائه للصاحبْ
وسع لأخيك المؤمن في المجلس وضع له ما يقيه قبل أن يجلس

د ـ الطاعة وتأديب النفس وفعل الخيرات:

من اشتاق إلى الجنات سارع إلى فعل الخيرات
ناقش النفس وأدبها وسارع للتوبة وحاسبها
غفلة القلب داء ومرض والذكر شفاء لداء عرض
عزّ الفتى في التقوى والكرم ومحبته للدنيا ذل وندم
فرغ قلبك من حب المال والجاه واستعن بالله واطلب رضاه

ومن باب الفقه نختار بعض الأبيات التي تتعلق بقواعد التقاضي في الشريعة الإسلامية: ـ

فيرفع الخلاف حكم الحاكم إلا إذا خالف النص القائم
أو خالف الجالي في القياس أو خالف الإجماع عند الناس
أو شد مدركاً وجوباً ينقضُ فاحفظ هداك الله ما قد نقضوا

يشير الناظم رحمه الله إلى قاعدة أصولية في المذهب المالكي مفادها

تقديم النص الخاص على النص العام، وهي تتعلق بحكم القاضي في المسائل التي اختلف فيها الفقهاء حيث يوجد فيها أكثر من رأي، فإذا رفع الأمر لذلك القاضي في قضية معروضة وقضى فيها بالمذهب الذي يعتقد، فهذا الحكم يرتفع بموجبه الخلاف استناداً إلى ذلك الحكم فلا يجوز نقضه بسبب ذلك الاختلاف بين المذاهب.

يعجز الحاكم مطلوباً أتى ومثله المدعي جاء يا فتى
إلا في خمسة طلاق ونسب دم وعتق حُبس فَع تحب

يقصد بالتعجيز تنبيه المدعي لإثبات دعواه إذا لم يقر بها خصمه ومتى حصل ذلك ولم يستطع المدعي الإثبات انقطعت الخصومة ولم يعد بإمكانه تقديم الدليل إلا في مسائل خمس هي: الطلاق والنسب والعتق والوقف والدماء، فلا تسري عليها تلك القاعدة فمتى وجد المدعي البينة قدمها وتسمع دعواه[7].

واعتمدت بينة الملك على أمور خمسة أنهاها الفضلا
تصرف وطول الحوز يا فتى كعشرة من الشهور قد أتى
ولا منازع له فيما ادعى ينسبه لنفسه كما وَعَى
في علمنا عن ملكه لم ينتقل بناقل شرعي فاحفظ ما نقل
وقيل في الأخير شرط للكمال والغير شرط صحة فاسأل تنال

بيّن الناظم في هذه الأبيات الحيازة المثبتة للملك وهي تختلف عن الحيازة القاطعة للنزاع والتي لا تسمع الدعوى عليها، والفرق بينهما في المدة، فالأولى تكون بعد عشرة أشهر أو سنة وفي العقار الذي جهل أصل ملكيته، كإحياء الموات أما الثانية فمدتها عشر سنوات بين الأجانب وأربعون سنة بين الأقارب وتكون في العقار المعروف أصله[8].

---

(7) ملخص الأحكام الشرعية على المعتمد من مذهب المالكية، والأستاذ محمد محمد عامر. ص 13 - 14.

(8) ملخص الأحكام الشرعية - المصدر السابق ص 15، وتوضيح الأحكام على تحفة الحكام للشيخ عثمان بن المكي التوزري الزبيدي. ص 38/ 3 ط 1 تونس 1339 هـ.

ويعرّف الراهن والمرتهن والرهن في بيتين على النحو التالي:

فـراهـن دافـع رهـن يـا فـتـى والـمـرتـهِـن بـالـكـسـر آخـذه أتـى
ومـرتـهَـن بـالـفـتـح لـلـهـاء الـرهـنْ فـاحـفـظ هـداك الله فـالـحـفـظ حسـنْ

وفيما جاء في تقليد المذاهب، قال المؤلف:

وجـاز لـلإنـسـان أن يـنـتـقـلْ مـن مـذهـب لـمـذهـب قـد نـقـل
فـي كـل مـا يـضـطـر الإنسـان لَـهُ ولـيـس عـنـه مـهـربـاً فـاعـقـلَـهُ

ثم يقول:

ومـا عـلـيـه الـمـسـلـمـون يُـلـتـمـسْ وجـه لـه مـا أمـكـن أخ الـتَـمِـسْ
لأنـه لا يـلـزم بـمـذهـب مـعـيـن ولا مـشـهـور مـذهـب
نـقـلـه فـي شـرحـه الـتـسـولـي عـن ابـن لـب وافـر الـنـقـول

موضوع تقليد المذاهب أو الانتقال من مذهب إلى آخر في المسائل الفروعية من المواضيع التي كثر الجدل بشأنها بين الفقهاء في مختلف العصور، وفي كل الأحوال تجد الفقيه المتشدد الذي يرفض الانتقال من مذهب والأخذ برأي المذهب المخالف في حين تجد الفقيه الميسر الذي يقلد الآراء الواردة في مذاهب أخرى للضرورة جرياً على قاعدة من قلّد عالماً لقي وجه ربه سالماً، ومن هؤلاء الشيخ أحمد بن حمادي رحمه الله، يتضح ذلك من الأبيات التي اقتبسنا بعضاً منها، بل ويذهب إلى أنه لا يلزم المسلم أن يتقيد بمذهب معين وفي ذلك تيسير كبير على المسلمين إضافة إلى ما فيه من بعد عن التعصب والتشيع لمذهب إسلامي واحد، والمؤلف أشار إلى أنه يستند في رأيه إلى قول الفقيه فرج بن لب وهو من أكابر علماء الأندلس تولى الإمامة والخطابة والفتوى بغرناطة وكان شيخ الشيوخ وأستاذ الأساتذة انتهت إليه رئاسة الفتوى في العلوم ت 783 هـ[9] ولم يقتصر المؤلف على نقل هذه القاعدة بل

(9) نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد باب التنبكتي، إشراف وتقديم الأستاذ عبد الحميد الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ص 357، وانظر أيضاً المعيار المعرب للونشريسي ص 6/471، والبهجة في شرح التحفة لأبي الحسن التسولي ص 2/288.

ذكر لنا تطبيقات عديدة لها من واقع الحياة العملية التي يمكن أن يستشف منها عما جرى به العمل من أحكام في بلادنا، وهذه النظرة هي التي أخذ بها الشرع الليبي حالياً في التشريعات التي صدرت مؤخراً، وسوف توضح بإذن الله كل الأحكام التي ذكرها والتشريعات التي صدرت في ليبيا التي تأخذ بهذه القاعدة وهي عدم التقيد بمذهب معين فيما لم يرد بها من نصوص عند تحقيقنا للكتاب.

ومن باب العبادات نختار بعض الأبيات:

شرط الوجوب للوضوء خمسةٌ ... حصول ناقض بلوغ قدرةٌ
دخول وقت عدم الإكراه ... فاحفظ وكن منتبهاً يا ساهي
وشرطه صحة إسلام وافي ... وعدمُ الحائل والمنافي
شرط وجوب صحة معاً أتى ... بلوغ دعوة وعقل يا فتى
وجود ماء قطع نوعي الدما ... وعدم النوم وسهو فاعلما
أنهى صلاتنا ساداتٌ كاملون ... إلى أفعال وأقوال يا قائلون
أفعالها فرائض كذا وردْ ... سوى الجلوس للتشهد وزدْ
رفع اليدين عند الإحرام كذا ... تيامنٌ مع السلام فخذا
أقوالها سنن إلا الإحرام ... قراءة الفاتحة السلام
حافظ على الصلاة بالأركان ... وبالشروط تحظى بالرضوان
وأدها في وقتها المختار ... تفوز بالغفران من غفار
ولا تؤخر للضروري تغنم ... ومن يؤخر دون عذر يأثم
فالعذر نسيان ونوم يا ميمون ... حيض نفاس ثم إغماء جنون

الخ...

شرط الإمام في الصلاة يا فتى ... طهارة ولا مُعيد قد أتى
عقل بلوغ وكذا إسلامُ ... ذكورة وقدرة ترامُ
وعالم بما به تتمُ ... من فقه مع قراءة تضم

وغير مأموم وفاسق كذا ... في جمعة حرٌّ مقيم فخذا
فحكم السهو في نفل كفرض ... عدى خمسٍ حواها بيت شعر
فترك الركن سهواً ثم سورة ... وعقد الثالثة مغ سرٌ جَهْر

ومن باب النكاح والطلاق نختار هذه الأبيات: ـ

فيجب النكاح إن خاف الزنى ... عن نفسه فاعمل وقيت المِحنا
ولو بإنفاق من حرام ... وإلا قل بالمنع باهتمام
وحيث لا يخشى الزنى فيندب ... إلا إذا بها الحرام يكسب
والأصل فيه الندب للتناسل ... وحث عنه خير كل الرسل
وركنه عِ شاهدان وصداق ... كذا ولي ومحل باتفاق
موانع النكاح خمسة أتت ... رق وكفر خنثى إحرام بدت
ومرض لأحد الزوجين ... مخوف مطلقاً بغير مين
فكل ما لعقده حتماً فسدْ ... ففسخه قبل البناء قد ورِدْ
لكن بلا شيء وبعده أتى ... لها المسمى أو بمثل يا فتى
ومثله ما للصداق فسدا ... لكن مضى بالمثل بعد وُجدَا
كل نكاح فاسد بالاتفاق ... كمتعة ففسخه بالإطلاق
ونسخ ما فيه خلاف كالشِغار ... بطلقة بائنة بلا اختيار
ومنع النكاح في العدة مِن ... غير المطلق لأفعى فطن
بالعقد مغ مقدمات فيها ... أو بعدمها لتأبيد يعتريها
تجوز رجعة لخمسة فتى ... سوى النكاح منهمٌ فقد أتى
العبد والسفيه ثم المحرم ... كذا مفلس مريض يكرم
وركنه ـ أي الطلاق ـ أهلُ ... لفظ وقصد وكذا محل
ولفظه الصريح بالقصد الطلاق ... كذا تطلقتِ وطالق طلاق
ومثلها طلقتُ بالماضي كذا ... مطلِّقهْ بالفتح والشد خذا

كـكـل لـفـظ جـاء فـي الـقـرآن فـراق أو تـسـريـح خـذ بـيـانـي

ومن باب الأدب والطرائف نختار هذه الأبيات:

آن الـسـرور أحـبـتـي ولـحـبـكـم جـاء الـهـنـا

وكـمـالـه أنـس بـكـم فـتـفـضـلـوا رفـقـاً بـنـا

وهذا تشطير لبيتين للشيخ يوسف النبهاني:

«زعـمـونـي أحـب هـنـداً ومـيـا» وأمـيـل لـحـسـنـهـن رضـيـا

لـيـس لـي لـلـغـواني حـب ومـيـل «قـد أتـى الـزاعـمـون شـيـئـاً فـريـا»

«مـا لـهـنـد ولا لـمـيٍّ نـصـيـب» فـي الـمـحـبـة إن قـلـبـي قـصـيـا

مـا لـدعـد ولـلـكـواعـب حـظ «في فؤاد امرىءٍ أحب النبيا»[10]

تشطر لبيتين آخرين:

«كيف الوصول إلى سعاد ودونها» وعـرٌ ومـر طـريـقـهـا مـعـروف

والسهل صعب في المسير وبعده «قـنـن الـجـبـال ودونـهـن حـتـوف»

«الـرجـل حـافـيـة ومـا لـي مـركـب» أمـشـي عـلـيـهـا لـحـيّـهـا وأطـوف

والشوق ينهض بي فالحظ خطبَهُ «والكف صفر والطريق مخوف»

لغز الحجر الأسود:

قـل لأهـل الـعـلـوم أهـل الـكـمـال سـادتـي مـا جـوابـكـم عـن سـؤالـي

أيـمـا قـبـلـة لـهـا الـطـهـر واجـب وهـي سـنـة والـطـهـر بـاق الـوصـال

جوابه:

ذاك شخص يقبل الحجر الأسود للبيت عظيم النوال:

فـي الـطـواف لأن طـهـره شـرط وبـقـاء الـوضـوء عـيـن الـكـمـال

واشـتـراط الـوضـوء لأنـه جـزء مـن طـواف الأنـام فـاسـمـع مـقـالـي

---

(10) البيتان من قصيدة للشيخ يوسف النبهاني اسمها السابقات الجياد مؤلفة من عدة مقاطع كل منها ينتهي بقافية على حروف المعجم منشورة في ديوان المدائح النبوية ص 127.

وقال مشطراً أحد الأبيات:

«عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه» فـقـارن لـبـيـبـاً فـاضـلاً تـهـتـدي

وجانب قرين السوء إن كنت صيّناً «فكل قرين بالمقارن يقتدي»

تشطير أبيات أبي الحسن علي بن إسحاق الوداني الذي عاش في صقلية، وقد قام بتشطيرها عدد من شعراء ليبيا فشاركهم المؤلف بهذا التشطير الذي يظهر فيه التصوف واضحاً: ـ

«من يشتري مني النهار بليلة» فـازت بـهـا زمـر مـن الأحـبـاب

هي ليلة جاد الكريم بسرها «لا فرق بين نجومها وصحابي»

«دارت على فلك السماء ونحن قد» فـزنـا بـسـر كـامـل وثـواب

وسمت بها أرواحنا شرفاً وقد «درنـا عـلـى فـلـك مـن الآداب»

«وأتى الصباح ولا أتى وكأنه» واشٍ يـلـوم أحـبـتـي بـعـتـاب

والضعف مني قد بدا لما أتى «شيب أطل على سواد شباب»[11]

بعد أن جلنا في حدائق هذا البستان وقطفنا بعض أزهاره وثماره، وهي غيض من فيض الشيخ الفقيه أحمد بن حمادي رحمه الله، في كتابه «حادي العقول إلى بلوغ المأمول» الذي يضم قطوفاً من العقيدة ومدح رسول الله ﷺ، وبعضاً من أحكام العبادات والمعاملات وأصول التقاضي إلى جانب بعض الحكم والمواعظ والطرائف والنكت، بقيت كلمة نقولها حول هذا الكتاب الذي ألفه أحد فقهاء ليبيا ممن تلقى تعليمه داخل البلاد فهو إذن يمثل صورة حية للعلوم التي كانت متداولة في الزوايا المنتشرة داخل ليبيا خلال المرحلة التي عاشها المؤلف، والتي تبدأ من نهاية العهد العثماني إلى قرب انتهاء عهد الاستعمار الإيطالي البريطاني، ولا شك أن تلك الفترة كانت تمثل مرحلة عدم استقرار سياسي حيث لم يكن للبلاد كيان يرعى التعليم والثقافة فضلاً أن ينهض به، ولا يمثل الشيخ بن حمادي كل الثقافة والعلوم التي كانت سائدة

(11) لمعرفة الشعراء الليبين الذين شطروا أبيات الوداني، انظر كتاب أعلام من طرابلس للأستاذ علي مصطفى المصراتي. ص 64.

آنذاك لوجود علماء آخرين كان لهم الباع الطويل أشرت إلى بعضهم عرضاً، وإنما يمثل الوسط الذي كان سائداً في الزوايا، وهو المحيط الذي عاش فيه المؤلف، ومن خلال كتابه رسم لنا صورة عما يدور في تلك الرباطات الدينية بين المريدين من المتصوفة وأتباع الطريقة القادرية، وهم من مختلف طبقات المجتمع، لذلك كانت مواضيع الكتاب تتكون من منظومات وتخميسات وتشطيرات وموشحات منها ما هو بالفصحى وهو الغالب وبعضها مزيج بين الفصحى والعامية. وكلها تدور حول العلوم التي كانت سائدة آنذاك، والتي من أخصها علم الكلام والتصوف ومعرفة الأحكام الشرعية. ويكشف لنا الكتاب أيضاً عن حقيقة الزوايا فهي لا كما يظن البعض أنها تختص بالمدائح والأذكار والتسبيح وما يصاحب ذلك من شطح وجذب وسماع وغيرها، بل تعتبر منارات علمية حافظت على العقيدة وعلوم القرآن وعلم الفرائض وأحكام العبادات والمعاملات، وهو دور لا يستهان به في الحفاظ على هذه العلوم الضرورية لكل مجتمع إسلامي.